التخليط في الشعر

كانت العرب في الجاهلية وصدر الاسلام تتكل على الذاكرة في تلقي الشعر والحكمة وأخبار المغازي ، وتسمي ذلك « الحفظ » باعتبار أن الذاكرة أداة الصون ووسيلة التخليد . وأخبارهم في الحفظ مشهورة ، ونظائرها مشاهدة الى الآن فيمن سار على طريقتهم من أدباء شنقيط وغيرهم (١)

وكان يختلط الامر على الرواة اذا اتفقت لشاعرين أو أكثر قصائد من وزن واحد وروي واحد وفي موضوع واحد ، فيدخلون ابياتاً من قصيدة في قصيدة أخرى ، أو يؤلفون بيتاً واحداً من بيتين وان كان ذلك لشاعر واحد ومن قصيدة واحدة ، أو يتشابه بيتان من قصيدتين مختلفتين في كثير من ألفاظهما فيدخل الرواة بعض ألفاظ أحد البيتين في الآخر ؛ فهذه أنواع ثلاثة للخطأ الذي قد يقع في النقل ، ويسميه القدماء « التخليط في الشعر »

وقد وقفت اثناء المطالعة في كتب الادب على مائتة من القصائد والمقطعات التي هي من غرر الشعر العربي ، ولكنها أصيبت بالتخليط في بعض أبياتها ، فرأيت أن في التنبيه على ذلك فائدتين : احداهما نشر شعر هو في ذاته ممتع ونفيس ، والثانية الاعلام بما وقع فيه من تداخل وتخليط

---

(١) كنا منذ سنين نسمع الاستاذ الفاضل أحمد الامين الشنقيطي رحمه الله يحدثنا من ذاكرته بأنساب أفاضل شنقيط ، وأسماء عشائرهم وعمائرهم ، وينشدنا العشرات من قصائدهم ، وكنا نعلم أنه لم يدون من ذلك شيئاً في مذكرة أو كتاب . فطلب اليه أستاذنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله أن يكتب مايحفظه من أحوال ذلك الشعب الناثي وما لادبائه من شعر وتراجم فكتب من ذاكرته كتاب (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) وهو مجلد في ٥٤٠ صفحة . وذلك فضلاً عما كان يحفظه من مئات القصائد لشعراء الجاهلية ومثلها لشعراء العصور الاسلامية . وكان يحفظ ديوان لزوم ما لايلزم للمعري وشيئاً كثيراً غير ذلك

— ١ —

﴿ ابيات لعُرْوَةَ بن الوَرْد و قَيْس بن زُهير ﴾

فمن ذلك أربعة أبيات رواها أبو علي القالي في اماليه (٢ : ٢٠٧) لعروة ابن الورد ، وهي :

لا تَشْتُمَنّي يا ابنَ وَردٍ فانني ... تعودُ على مالي الحقوقُ العوائدُ
ومن يؤثر الحقَّ الندوبَ تكن به ... خَصاصةُ جسم وهو طيّانُ ماجد
وإني امرؤٌ عافي إنائيَ شِركةٌ ... وأنت أمرؤ عافي إنائك واحد
اقسِّم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قَراحَ الماء والماء بارد

قال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ـ صاحب معجم ما استعجم المتوفى سنة ٤٨٧ ـ في كتابه (التنبيه على اغلاط ابي علي القالي في أماليه[1]) في الورقة ٥٧ الصفحة اليسرى :

« هذا من أوهام أبي علي وغفلته . كيف ينشد لابن ورد :

لا تشتمني يا ابن ورد . . .

وانما البيت الاول لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، صاحب حرب داحس ، ويكنى أبا هند ، يرد على عروة ، وكان بينهما تنافس »

أما البيتان الاخيران فانهما لعروة بن الورد . قال البكري : وكان قيس أكولا مبطاناً ، وكان عروة يعرض له بذلك في أشعاره . فمن ذلك قوله :

اني امرؤ عافي انائي شركة ... وانت امرؤ عافي انائك واحد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة ... واحسو قراح الماء والماء بارد

فقال قيس يجيبه :

لا تشتمني يا ابن ورد فانني ... تعود على مالي الحقوق العوائد

(١) هو من نفائس مخطوطات مكتبة العلامة المحقق احمد تيمور باشا ، وهي النسخة الوحيدة الباقية من هذا الكتاب فيما نعلم ، وسنصفها للقراء في عدد تال من الزهراء

أنهزأ مني أن سمنت وان ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد

أما بيت « ومن يؤثر الحق الندوب . . . » فروى البكرى عن محمد بن يزيد أنه ليس لعروة وانما هو لقيس بن زهير

وقيس هذا كان من رجال الحزم في العرب ، والاخبار عن دهائه وذكائه مدونة في التاريخ

- ٢ -

﴿ أبيات لكعب بن سعد الغنوي وعريقة بن مسافع ﴾

ومن ذلك ماوقع من التخليط في أبيات أوردها الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ١٤٥ الطبعة الاولى و ٣ : ١٦٤ الطبعة الثانية) وهي :

اذا ماترا آه الرجالُ تحفظوا فلم تُطَق العوراء وهو قريبُ

حبيبٌ الى الزوّار غشيان بيته جميلُ المحيّا شَبَّ وهو أديب

فتًى لا يبالي ان يكون بجسمه إذا نال خلّات الكرام شُحوب

حليم اذا ما الحلم زيّن أهلَه مع الحلم في عين العدوّ مَهيب

حَليفُ النَّدى يدعو الندى فيجيبه قريباً ، ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى ياأمّ عمرو ضجيعه إذا لم يكن في المنقيات حلوب

فان الجاحظ أورد البيتين الاولين من هذا الشعر في موضع آخر من البيان والتبيين (١ : ٧٠ الطبعة الاولى و ١ : ٩٤ الطبعة الثانية) منسوبين لكعب ابن سعد الغنوي . وفي الاصمعيات (طبع برلين سنة ١٩٠٢) قصيدتان احداهما في ص ١٤ (القطعة ١١) لكعب بن سعد عدد أبياتها ٢٣ بيتاً وفيها البيتان الثاني والسادس مما أورده الجاحظ ، والثانية في ص ١٦ (القطعة ١٢) لعريقة بن مسافع العبسي عدد أبياتها ٢١ وفيها البيت الاول والبيتان الثالث والرابع . أما البيت الخامس فلم يرد في القصيدتين فيحتمل أن يكون من احداهما ولم يروه الاصمعي ويحتمل أن يكون من قصيدة ثالثة

وقد جاء البيت السادس في الصحاح (مادة حلب) منسوباً لكعب. وأورد قدامة بن جعفر احد عشر بيتاً في نقد الشعر (ص ٣٤ ـ ٣٥) منسوبة لكعب وفيها الاول والثالث والرابع من ابيات البيان والتبيين وورود البيت الاول في محاضرات الراغب الاصبهاني منسوباً لكعب. وأورد أبو علي القالي قصيدة مطولة في أماليه (٢ : ١٥٠ـ١٥٣) وفيها الابيات الستة كلها، فالتخليط واقع فيها على رواية الاصمعي كما هو واقع في البيان والتبيين. وقد أشار القالي الى أن بعض الناس يروي هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوى وبعضهم يروي شيئاً منها لسهم

يتبين مما تقدم أن الابيات التي في البيان والتبيين بعضها لكعب بن سعد وبعضها لعريقة. أما القصيدة التي أوردها القالي فالابيات الزائدة فيها عن القصيدتين الواردتين في الاصمعيات لا يبعد أن تكون من قصيدة ثالثة لسهم الغنوي

ـ ٣ ـ

﴿ أبيات لزيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت ﴾

وأورد أبو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٣ : ١٦ بولاق) أبياتاً نسبها لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى يخاطب بها زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى لما تركا الوثنية ورجعا الى دين الحنيفية :

رشدت وأنعمت بن عمرو وانما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك رباً ليس رب كمثله ... وتركك جنّان الجبال كما هيا
أقول اذا مازرت أرضاً مخوفة : ... حنانيك لا تظهر عليّ الاعاديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم ... وانت الهي ـ ربنا ـ ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى ... أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول اذا صليت في كل بيعة : ... تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

وقد وقع التخليط في هذه الابيات الاسباب التي ينشأ عنها التخليط عادة ؛ فالبيتان الاول والثاني لورقة بن نوفل من أبيات يرثي بها زيد بن عمرو بن نفيل يوم قتل في بلاد لخم وهو عائد من بلقاء الشام الى مكة ، وقد أورد عبد الملك بن هشام المعافري هذه المرثية في كتاب السيرة (١ : ٧٩ بولاق) وهي :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك رباً ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وادراكك الدين الذي قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها ... تمال فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن ... من الناس جباراً الى النار هاويا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الارض سبعين واديا

وقال ابن هشام : يروي لامية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتاً في قصيدة له . وقوله « أوثان الطواغي » عن غير ابن اسحاق

والبيت الرابع من الابيات التي في الاغاني رواه ابن اسحاق من قصيدة لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت الا البيتين الاولين والبيت الخامس وآخرها بيتاً . وعجز البيت الاول عن غير ابن اسحاق . وأول الابيات :

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا ... وقولاً رضينا لابني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه ... اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان اياك والردى ... فأنك لاتخفي من الله خافيا
واياك لا تجعل مع الله غيره ... فان سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم ... وأنت الهي ـ ربنا ـ ورجائيا

وهي سبعة عشر بيتاً في كتاب السيرة لابن هشام (١ ٨٧ بولاق)